عمر هزاع - سورية

رُؤيا..

رِدْ وَهْجَ كُوَّته، اقبسْ وَمضَةً لترى
وَوَلِّ جُرحَكَ شَطرَ المِلْحِ، وَامضِ سُرى

فَـراشَـةً؛ عانقِ المشكاةَ، مُتَّخذًا
من كُحلِ جِنحِكَ زَيتًا، وَاتَّقِدْ شَرَرا

أَطلقْ سَراحَكَ من زِنزانَةِ صَدئَتْ
بِها لَياليكَ، وَازرَعْ أَنجُمًا زُهُـرا

وَاذرِفْ فُـؤَادَكَ ذَوبًـا في مَحَبَّته
عَلَى صُخُورِكَ، حَتَّى يَستَحِلنَ ثَرى

أَكانَ صَوتِيَ؟ أَم لا وَعيَ صَمتيَ؟ ما
سَمِعتُ؟ أَم كانَ عَصفُ الذِّهنِ مَحضَ هُرا؟!

مَن أَنتَ؟)؛ (عابِرُ رُؤياكَ الأَخيرَة، خُذْ
ضِغثًا لِحَيرَتِكَ الأُولَى، وَفِ النُّذُرا

جَبينُ وَقتِكَ مَتلُولٌ، وَذبحُك في
مَرمَى يَدَيكَ؛ يَدِيكَ؛ اتبَعْهُ حَيثُ جَرى

بِمُقلَتَين؛ وَضَـعْ خَطَّين تَحتَهُما:
خَطًّا لِدَمعِكَ صُبحًا، ثُمَّ خَطَّ كَرى

وَكَيفَ ذاكَ؟ وَأَشياعُ الصِّراعِ - هُنا
ما بَينَ بَينِيَ - خَلَّتْ مُهجَتِي حُفَرا

قابِيلُ" وَحشيَ في "هابِيلِ" تَضحِيَتِي
بِـأَبـجَـدِيَّـةِ إِنـسـانِـيَّـتِـي كَـفَـرا

قَصَدتَ مُغتَسَلَ التَّأويلِ؟ فَامشِ عَلى
جَمرَ المَجازِ! إِذَن. وَلتُمعِنِ النَّظَرا

حَدِّقْ تَرَ الشُّرُفاتِ اصَّدَّعَتْ وَهَوَتْ
وَالبَحرَ غِيضَ، وَإِشعاعَ المَخاضِ سَرى

نُـورًا تَناقَلُهُ الأَصـلابُ كامنَةً
مُذ كانَ في رَحِـمِ الأَقـدارِ مُدَّخَرا

من نُقطَةِ الصِّفرِ، حَيثُ الطِّينُ مُبتَدَأٌ
وَالمـاءُ يَحمِلُ في أَسـفـارِهِ خَـبَرَا

مُذ كانَ "آدَمُ" في الصَّلصالِ، كانَ بِهِ
يُبَشِّرُ "القُدُسُ" العُلْوِيُّ، ما فَتَرَا

وَكـانَ ثَمَّـةَ تَـرتـيـلٌ، وَبَـسـمَـلَـةٌ
تَـضَـوَّعَـتْ صَـلَـواتٍ كُـلَّـمَا ذُكِـرا

قُمْ؛"شَيبَةَ الحَمد"؛حبرُ اللَّيلِ قَد فَرِغَتْ
دَواتُــهُ، وَيَــراعُ الظُّلمَةِ انكَسَرا

هَذا حَفيدُكَ - "وَعدُ الحَقِّ" - "آمنَةٌ»
ضاءَتْ بِهِ، وَأَتَى مَن كانَ مُنتَظَرا

فسَمِّه اسمًا فَرِيدًا، لا مَثيلَ لَهُ
«مُحَمَّدًا"،"هاشِميَّ الأَصلِ"،"مُبتَكَرا»

حُـرُوفُـهُ شَجَرُ الأَرواحِ، كَوكَبَةٌ
تَترى طَلائِعَ هَديٍ كي تَرى وَتُرى

هَل اطَّلَعتَ؟وَكَيفَ اسطَعتَ؟؛مُذ فَصَلَتْ
بُــشراهُ، حِـينَ تَجَلَّى رائِعًا! بَـشَرا!

طفلًا! تُوَضِّئُ سَمعَ النَّخلِ صَرخَتُهُ!
لِـكَي يُساقِطَ مِن تَـردادِهـا ثَمَـرا!

النَّخلُ؟ ما النَّخلُ؟؛ كيزانٌ بِباديَةٍ
ظَمأَى، لِبَسمَةِ فِيهِ اصَّبَّبَتْ مَطَرا

فَخَّارُها الجاهليُّ اليُتْمُ صَدَّعَهُ
وَصَبَّ "جِبرِيلُ" فِيهِ الحُبَّ، فانجَبَرا

جبريلُ؟: صَلصَلَةُ الأَجراسِ خَفقُ جَنا
حَـيـهِ، وَحـارِسُـهُ إِمَّـا بِـهِ مُكِرا

وَاليُتْمُ؟: مسبَحَةٌ حَبَّاتُها انفَرَطَتْ
أَبًـا، وَأُمًّـا، وَجَـدًّا، بِانفِصامِ عُرى

وَالجاهليَّةُ؟: فَصلٌ لِلضَّلالِ، صَلَتْ
جَلِيدَهُ شُعلَةُ الإِسـلامِ، فانصَهَرا

إِذ كانَ - قَبلَ بُزُوغِ الفَجرِ - يَعبَثُ فِي
حِزامِهِ النَّاسِفِ اللَّيلِيِّ، فانفَجَرا

وَاللَّيلُ؟: عابِرُ دَربٍ خَطَّ رُؤيَتَهُ
عَلى الغُبارِ - بِوَجهِ الرِّيحِ - فانتَثَرا

فاقصُصْ رُؤَاهُ إِذا ما كُنتَ تَعبُرُها
مِنَ البِدايَةِ حَتَّى المُنتَهَى، صُوَرا

رَأَى فُـؤَادًا، وَمـاءً مـا، يُغَسِّلُهُ
وَقَبضَةً، تَنسُلُ الوَسواسَ وَالكِبَرا

فَكانَ نَهرًا، رَفِيفُ الوَحيِ أَلهَمُهُ الـ
ـمَجرَى، فَأَطلَعَ طَميُ الضِّفَّتَينِ قُرى

وَياسَمينًا عُيُونُ "الشَّام" تَذرِفُهُ
مُنْذُ اليَهُودُ إِلَيهِ حَـدَّقُـوا شَـزَرا

حَتَّى أَشارَ "بَحيرا": استَنقِذُوهُ فَتًى
«بُصرَى" تُقَلِّبُ - فِي آياتِهِ - البَصَرا

فَـأَوِّبُـوهُ، وَإِلَّا بـاحَ خـاتَمُـهُ
بِمـا أَسَرَّ، وَأَمـسَى أَمـنُـهُ خَطَرا

راعٍ يَهُشُّ عَـلى الأَيَّـام حِكمَتَه
مَعَانِيًا، مُعجِزاتٍ، نُـضَّرا، غُـرَرا

من طاقَةِ اللَّمَحاتِ البِكرِ يَشحَنُها
دُرِّيَّـةً كَـثُرِيَّـاتٍ بِـغَـارِ "حِـرا»

من حَيثُ قِيلَ لَهُ: [اقرَأْ]، حَيثُ غُطَّ، وَما
بِـقَـارِئٍ هُـوَ! لَـكِـنَّ المَـلاكَ قَـرا

فَسَلْ يُجِبْكَ حَصًى: سَبَّحتُ فِي يَدِهِ
وَيَجتَذِبْكَ حَنِينُ أَنطَقَ الشَّجَرا

وَاتبَعْ غَمامَةَ "قُـرآنٍ" يُبَوصِلُها
مِنَ الأَثِيرِ - عَلَى وَجهِ الثَّرى - أَثَرا

وَارِكُـضْ بِرُوحكَ فِي معراجِهِ لتَرى
وَراءَهُ الأَنبيا، صَـلى بِهِم زُمَـرا

حَتَّى دَنـا فَـتَـدَلَّى، ثُـمَّ عـادَ هُنا
مُحَمَّلًا بِكُنُوزِ الَـعـرشِ لِلفُقَرا

هُنا، هُناكَ، عَذابات أَرَى، وَعِدًى
وَأَدمُـعًـا حَـسَراتٍ، عِندَ ما هَجَرا

للَّه - ثَبتًا - مَضَى، ما حادَ أُنمُلَةً
لَو أَنَّهُم مَلَّكُوهُ الشَّمسَ وَالقَمَرا

إذ راحَ يَسقِي تُرابَ "القَريَتين" دَمًا
وَعـادَ يُطعِمُ مِن آلامِـهِ الحَجَرا

كانَ الرَّحيلُ مَهيبًا، "مَكَّةُ" اندَفَعَتْ
بِـخُـطـوَةٍ لِأَمـــامٍ، خُـطـوَتَـينِ وَرا

وَكانَ يَحثُو عَلَيها الرَّملَ، مُختَرِقًا
حَظرَ الـتَّـجَـوُّلِ، بِـالإِيمـانِ مُتَّزِرا

سَيَذكُرُونَ بِيَوم الفَتحِ - هجرَتَهُ
لِثالِثِ "اثنَينِ" - إِمَّا عادَ مُنتَصِرا

وَيُبصِرُونَ يَدًا خُبزَ الجِياعِ غَدَتْ
وَرايَــةَ ظِلِّها العُشَّاقُ وَالشُّعَرا

لَو كانَ "فَظًّا غَليظَ القَلبِ" لانصَرَفُوا
لَكِنَّهُ خَـيرُ مَن بِالرَّحمَةِ ابتَدَرا

وَخَيرُ مَن حَمَلَتْ أُمٌّ، وَأَنبَلُ مُخْــ
تـارٍ، وَأَكــرَمُ مَن يَعفُو إِذا قَـدِرا

يا عابِرَ الحُلْمِ، أَمهِلْ لَهفَتي حُلُما
قَلبِي الشَّآمِيُّ خَلفَ الأَضلُعِ انفَطَرا

نامَ الأَنامُ، وَما عِندي سِوَى سَهَدٍ
يَسقِي الكَواكِبَ فِي حانِ الكَرَى سَهَرا

إِذ اعـتَـصَرتُ شَرابِـيـنًـا مُـمَـزَّقَـةً
وَجِئتُ أَشخَبُ، مَنزُوفًا وَمُعتَصَرا

وَقَفتُ أَخلَعُ عِندَ البابِ أَقنعَتي
وَأَقلَعُ الشِّعرَ فِي المِحرابِ مُعتَذِرا

لِأَسأَلَ "الرَّحمَةَ المُهداةَ" عَن لُغَةٍ
تَنَزَّلَتْ سُــوَرًا، وَاجَّــسَّــدَتْ سِيَرًا

الصَّادقَ، المُصطَفَى، المَأمُولَ، فانفَجَرَتْ
أَلغامُ شَوقِيَ لَـمَّا نُـورُهُ انتَشَرا

فَصحتُ: يا عَبَرااات الدَّمعِ، هاك دَمي
إذا نَضَبتِ، وَصِحتُ:... الرُّوحَ، يا عَبَرااا...

كَألف أَلف فدائِيٍّ صَرَختُ: خُذُوا
لَحمِيْ، عِظامِيَ، قَلبِيْ، السَّمعَ، وَالنَّظَرا

قَصَدتُهُ، وَوَريــدُ الصَّدرِ قافِيَةٌ
وَكانَ خَفقُ فُؤادِي الوِردَ وَالصَّدَرا

وَكُنتُ أَحسَبُ أَنِّي شاعِرٌ، فَهَوى
عَجزِي عَلى عَتَبِ الإِعجازِ، وَانعفَرا

عمر هزاع - سورية